ديزيره سقال

جَهَنَّم



٢٠٢٣

ديزيره سقال

جَهَنَّم



٢٠٢٣



(مداخل جهنّم)

"هنا الطريقُ إِلى مدينة العذاب،
هنا الطريقُ إِلى الألمِ الأَبديّ،
هنا الطريقُ إِلى القومِ الهالِكين...
أَيُّها الداخِلونَ، ٱطْرحوا عنْكم كلَّ أمل."
(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"ليس لهؤلاء في الموت أمل."
(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"لقد جئتُ إِلى مكانْ يخرسُ فيه كلُّ ضياء."

(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"ومررنا فوق أَشباحٍ ترزح تحت مطرٍ ثقيلٍ،
وخَطونا فوقَ رسومِها الخاوية التي تبدو أَجسادَ بشر."

(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"كَم أناسٌ يحسبون أنفسَهم اليومَ هناكَ في أعلى،
وسيصيرون هنا كالخنازيرِ في الوَحْل."

(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"رأيتُ قطعاناً كثيرةً من نفوسْ عاريةٍ،

تبكي جميعًا في بؤسٍ شديد."

(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)

"لا يمكن غفرانُ ذنوبِ مَنْ لا يندَمُ،

ولا الجمعُ بينَ التوبةِ وَإرادةِ الشّرِّ."

(دانتي – الكوميا الإلهيّة – الجحيم)



(إِطار جهنّم)

النّارُ تَلْتَهِمُ المدى...

وَالأَمْكِنَهْ

وَجَعٌ هَباءٌ:

لا خَلاصَ،

وَلا مَلاجي آمِنَهْ.

نارٌ تَفورُ لِتُحْرِقَ الدُّنْيا،

تُؤَجِّجُها طَوائِفُ أَدْمَنَتْ كِذْباتِها،

وَشِعارُها قِرْشٌ

تَبيعُ بِهِ جِباهَ الناسِ،
وَالحُكّامُ أَنْصابٌ
مِنَ الجَشَعِ المؤَصِّلِ في العُروقِ
تَحَصَّنَتْ في جِلْدِ تِمْساحٍ
وَعُمْرٍ خارِجَ الأَعْمارِ...
دُنْياها دَمٌ
وَضَميرُها كَذِبٌ تَحَنَّطَ
أَوْ رِياءْ.
وَطَنٌ هَباءْ
تَحْتَلُّهُ طُغَمُ المغولِ
وَتَرْفَعُ الزُّلْفى

حُدودًا لِلسَّماءْ.
وَطَنٌ تُحاصِرُهُ جَهَنَّمُ،
تَفْتَري فيهِ،
وَتَجْعَلُ مِنْ شَياطينِ الوَرى
حَدَّ القَضاءْ.



(زوايا جهنّم)

ساءَلْتُني:
"أَيْنَ الوَطَنْ؟"
فَسَمِعْتُ صَوْتًا قالَ لي:
"كَذِبٌ... شِعاراتٌ...
وَأَشْباحٌ تَطوفُ بِلا كَفَنْ."

ساءَلْتُني:

"هَلْ مِنْ وَطَنْ؟"
لَكِنَّني ضَيَّعْتُ وَجْهي
في دَياجيرِ العَفَنْ.

***

شَعْبٌ تُزَيِّنُهُ شِعاراتٌ
وَيَرْحَلُ في الهَباءْ.
شَعْبٌ يُضَيِّعُ وَجْهَهُ...
حَتَى الغَباءْ.

***

لا شَيْءَ في الأَرْضِ اليَبابِ
سِوى اليَبابْ.
لا شَيْءَ في وَطَنٍ
يُقَسِّمُ نَفْسَهُ خَلْفَ الطَّوائِفِ
غَيْرُ أَحْلامٍ سَرابْ.
***

شَعْبٌ يُزَنِّرُ عُمْرَهُ

بِالنَّوْمِ وَالتَّخْديرِ في عُمْقِ المساءْ...
شَعْبٌ يُتَعْتِعُهُ الغَباءْ!

***

أَللّهُ ضَيَّعَ وَجْهَهُ
بَيْنَ الطَّوائِفِ وَالمتاهْ.
ما عادَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ،
ما عادَ هَنْدَسَةَ الحَياهْ —
ضاعَتْ مَلامِحُهُ وَتاهْ.

***

كَذِبٌ يَمُدُّ لِسانَهُ جُرْذًا،
وَقافِلَةٌ مِنَ الزُّعَماءِ
يَبْصُقُها المكانُ.
بَصَماتُها دَعَرٌ وَتاريخٌ قَتيلٌ
لا صَداهُ صَدًى،
وَلا فيهِ زَمانُ.

***

العَرْشُ تابوتٌ مِنَ الزُّلْفى
وَحُكّامٌ عَلَيْهِ بِلا جِباهْ –

فَقَدوا هُوِيَّتَهُمْ،

وَأَنْسَوا شَعْبَهُمْ طَعْمَ الحَياهْ.

***



غَضَبٌ... غَضَبْ...
العُمْرُ مِحْرَقَةٌ
يُلَوِّنُها أَزيزُ الكُفْرِ
في حَقْلِ التَّعَبْ،
وَالناسُ صَوْتٌ يُشْتَرى وَيُباعُ
في سوقِ الذَّهَبْ.

***

فِي كُلِّ طائِفَةٍ قِناعْ،
وَاللهُ مَقْتولٌ،
يُوَزَّعُ لَحْمُهُ
بَيْنَ الرَّعاعْ.

***

وَطَنٌ تَوَزَّعَ لَحْمَهُ
وَحْشُ الطَّوائِفْ –
في كُلِّ طائِفَةٍ حِزامٌ ناسِفٌ

حَوْلَ الإِلَهِ،
وَمَوْتُهُمْ فِي التّيهِ زائِفْ.

***

طُغَمٌ تَقاسَمَتِ السَّماءَ
وَرَبُّهُمْ قِرْشٌ حَرامُ،
وَالنّاسُ...
كُلُّ الناسِ...
ناموا.

***

العَرْشُ مَرْقوعٌ
بِلَحْمِ الناسِ وَالفُقَراءِ
وَالزَّمَنِ المكَسَّرِ بَيْنَ أَرْوِقَةِ الطَّوائِفْ.
وَاللهُ وَهْمٌ
أَوْ شِعارٌ في المتاحِفْ،
والحَقُّ هِرٌّ،
ضائِعٌ في الأَرْضِ،
خائِفْ.

***

عُمْرٌ يَمُرُّ
كَأَنَّ تاريخَ البَشَرْ
زُلْفى،
وَطاغِيَةٌ يُهَشِّمُ ظُلْمُهُ
وَجْهَ القَدَرْ.

***

وَجَعٌ ثَقيلٌ

يَسْكُبُ التاريخَ مَهْزَلَةً
وَيَعْجُنُهُ هَباءْ،
وَالشَّعْبُ مِمْسَحَةٌ لِدُبْرِ زَعيمِهِ،
تُعْميهِ طائِفَةٌ،
وَيَسْحَقُهُ الغَباءْ.

***

وَطَنٌ تَفَجَّرَ
في غِيابِ الأَزْمِنَهْ،
عُنْوانُهُ غابٌ وَمَزْرَعَةٌ

وَطائِفَةٌ تُهَشِّمُ عَظْمَ قُطْعانِ الوَرى...
في مطْحَنَهْ.

***

شَعْبٌ يَمُصُّ دِماهُ، أَعْمى،
حينَ يُغْريهِ الظَّلامْ.
شَعْبٌ يُباعُ ويُشْتَرى...
شَعْبٌ بِلا عَيْنَيْنِ...
كُوِّمَ كالحُطامْ،
دُنْياهُ أُغْنِيَةٌ تَعَلَّمَها

يُرَدِّدُها بِلا مَعْنى
لِيَنْعَسَ جَفْنُهُ...
حَتّى يَنامْ.

شَعْبٌ يُباعُ وَيُشْتَرى... كالمَوْزِ
في وَطَنٍ تَمَدَّدَ كالجُذامْ...

***

بابُ الدُّخولِ إِلى جَهَنَّمَ مُشْرَعٌ،
وَالناسُ أَفْواجٌ

عَلى بابِ الدُّخولْ –
يَمْشونَ عُمْيانًا إِلَيْهِ
لِيَفْتَحوا، مِنْ بَعْدُ، أَعْيُنَهُمْ
عَلى نارِ الذُّهولْ.

***



العَرْشُ يَعْلو
فَوْقَ أَجْسادِ البَشَرْ،
وَالحاكِمُ المخْصِيُّ
يَرْقَعُهُ بِلَحْمِ الناسِ،
يَرْفَعُ كِذْبَهُ سورًا،
وَيُعْلِنُ أَنَّهُ صارَ القَدَرْ.

بَشَرٌ...
قَطيعٌ مِنْ نِعالٍ،

أَوْ تَماثيلُ حَجَرْ.

***

وَطَنٌ يُحاصِرُهُ الهَباءُ،
وَحَوْلَهُ وَجَعٌ حَديدْ.
الليْلُ يَحْمِلُهُ
إِلى وادي الصَّديدْ،
وَالشَّعْبُ فيهِ
غارِقٌ في الذُّلِّ،
مُرْتَهَنٌ لِبائِعِهِ،

يُهانُ وَيَسْتَفيدْ.

***

أَرْضٌ تُقَسِّمُها الطَّوائِفُ بينَها...
كَالجُبْنِ.
تَتْرُكُها يَبابًا أَوْ خَرابا.
أَرْضٌ تُفَجِّرُها الطَّوائِفُ
حائِماتٍ حَوْلَ جُثَّتِها ذُبابا.

***

الحاكِمُ المخْصِيُّ
يَرْكَعُ في جُيوبِ وَلِيِّهِ.
كَلِماتُهُ شِعْرٌ
تَضُمُّ حُروفُهُ لَوْنَ الخِيانَهْ،
وَالحَقُّ كَلْبٌ
شَدَّهُ طَوْقٌ،
وَأَعْيَتْهُ الأَمانَهْ.

***

بَيْني وَبَيْني
ظِلُّ طائِفَةٍ يُقَسِّمُني،
وَيَتْرُكُني شَظايا.
بَيْني وَبَيْني
كُلُّ ما تَرَكَ الرِّياءُ مِنَ التَّزَلُّفِ
في الزَّوايا.
بَيْني وَبَيْني
كِذْبَةٌ سَوْداءُ
تَعْكِسُها المرايا.

***

أَرْضٌ تَبورُ،
وَتْحَتها... أَرْضٌ تَبورُ...
حُقولُها
أَكَلَتْ سَنابِلَها شَراهاتُ الطَّوائِفْ.
وَالشَّعْبُ مُرْتَعِدٌ أَمامَ رِيائِها،
كالجُرْذِ خائِفْ.

أَرْضٌ تَبورُ كَأَنَّها
رَضَخَتْ لِأَسْرابِ الجَرادِ،

يَعيشُ فيها
كُلُّ كَذّابٍ وَزاحِفْ.

***

لا شَيْءَ... لا وَطَنٌ...
وَلا ظِلٌّ سِوايا.
وَأَنا ضَميرٌ ماتَ
في شَعْبٍ
تُضَعْضِعُهُ المرايا.

***

سَأَلَ الضَّميرُ عَنِ الحَقيقَةِ...

لا جَوابٌ...

لا حَياةُ –

الصَّمْتُ وَحْشٌ مُطْبِقٌ،

وَكَرامَةُ الحُكّامِ

باعوها بِسوقِ نِخاسَةٍ،

وَالناسُ ماتوا.

***

أَرضٌ تَمَدَّدُ

مِثْلَ صَحراءٍ بِلا ماءٍ،

وَرَمْلٌ فائِرٌ

عَبْرَ المتاهْ —

زَمَنٌ كَصَحْراءِ المدى،

تُرِكَتْ خُطاهُ في الزَّوايا...

ثُمَّ تاهْ.

صَمَتَتْ لِنَحْرِ الحَقِّ في ذُعْرِ المدى

كُلُّ الشِّفاهْ.

***

وَطَنٌ يُباعُ وَيُشْتَرى
لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ المهَجَّنِ
في زَوالِ المؤْمِنينْ.
وَطَنٌ تَناثَرَ في الزَّوايا...
كالأَنينْ.
وَطَنٌ هَجينْ.

***

الصَّمْتُ أَقْسى مِنْ مَراراتِ الرَّدى.

صَمْتٌ تَحَجَّرَ في الزَّوايا
وَاحْتَوى كُلَّ المدى.
صَمْتٌ يُرَسِّخُهُ الصّدى.

***

صَنَمٌ تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشٍ
رَقَّعَتْهُ لُحومُ أَطْفالٍ
وَأَشْلاءُ الجُثَثْ.
صَنَمٌ يُحَصِّنُ عَرْشَهُ ثِقْلُ العَبَثْ.

***

سَكَبوا عَلَيْنا تيهَهُمْ
فَتَلَقَّفَتْهُ طَرِيقُنا،
وَتَحَرَّكَتْ فينا الغَرائِزْ:
في غَمْرَةِ الظَّلْماءِ
صارَ الحَقُّ تابوتًا،
وَصارَ العَرْشُ تَهْليلَ الجَنائِزْ.
كُلُّ الحَرامِ أُبيحَ لِلْأَصْنامِ:
قَتْلُ الناسِ مَسْموحٌ،
وَنَحْرُ اللهِ جائِزْ!!

هَذا هُوَ الزَّمَنُ الأَخيرُ:
تَموتُ أَحْلامُ الحَقيقَةِ دونَهُ،
وَالباطِلُ الملْعونُ فائِزْ.

***

صَمْتٌ،
وَمِفْتاحٌ لِأَرْوِقَةِ الجَحيمْ،
وَالعَرْشُ سامٍ،
شاهِقٌ...
تَجْثو لَهُ كُلُّ الطَّوائِفِ

فِي دُجى الليلِ البَهيمْ.

***

كُلُّ الطَّوائِفِ مَيَّزَتْ أَلْوانَها،
إِلّا الوَطَنْ –
وَطَنٌ بِلا لَوْنٍ
تَكَسَّرَ فِي العَفَنْ.

***

عايَنْتُ أَرْوِقَةَ الجَحيمِ
تَفورُ فيها النارُ
مِثْلَ العَنْكَبوتْ،
فَرَأَيْتُ أَضْرِحَةً مِنَ الزُّلْفى
تَوَزَّعَتِ البُيوتْ،
وَرَأَيْتُ ناسًا
لا تَعيشُ وَلا تَموتْ.

***



بَشَرٌ تُجَمِّعُها المصالِحُ
في تُخومٍ سُمِّيَتْ وَطَنًا،
وَلكِنْ لا هُوِيَّهْ،

زَحّافَةٌ كَالصِّلِّ،
تَلثُمُ رِجْلَ داعِسِها نَهارًا
ثُمَّ تَشْتُمُهُ عَشِيَّهْ...
بَشَرٌ تُغَيِّرُ جِلْدَها أَفْعًى،
تُكَلِّلُها طَوائِفُها،
وَلَيْسَ لَها قَضِيَّهْ.

***

بَيْتٌ بِلا بابٍ ولا شُبّاكَ،
مَفْتوحٌ لِكُلِّ الداخِلينْ...

بَيْتٌ تَكَرَّسَ فُنْدُقًا لِلقادِمينْ،
مَبْغًى عَريقًا
يَرْفَعُ العَلَمَ الملَوَّنَ بِالـمَهانَةِ،
لا هُوِيَّتُهُ مَلامِحُهُ،
وَلَيْسَ لَهُ مُحيّا أَوْ جَبينْ.
***

صَنَمٌ تَعالى فَوْقَ عَرْشٍ،
كَرَّسَتْهُ طَوائِفُ الزُّلْفى إِلَهًا،
جَزّازَةُ الأَرْواحِ بَيْنَ يَدَيْهِ

سَلَّمَها لِكُلِّ رَئيسِ طائِفَةٍ
فَجُنَّ بِها وَتاها،
وَجَماجِمُ الأَحْياءِ كَدَّسَها
وَعَبَّدَ مِنْ تَراكُمِها المَتاها.

***



جُثَثٌ تَجولُ عَلى الطَّريقْ،
حُكّامُها تَرْوي بِها
جوعًا عَتيقْ –
حُكّامُها خَرَجَتْ ضِباعًا
بَيْنَ أَلْسِنَةِ الحَريقْ.

جُثَثٌ تَخالُ لَفيفَها شَعْبًا،
تَنامُ على الرِّياءِ وَتَسْتَفيقْ.

جُثَثٌ يُفَكِّكُها الغَباءُ
تَقومُ ثُمَّ تَنامُ في الليلِ الصَّفيقْ.

***

لَيْلٌ طَويلٌ لَيْسَ يَعْقُبُهُ نَهارُ،
وَالأَرْضُ تَغرقُ في الرَّمادِ
فَما يُوَشِّحُها ٱخْضِرارُ —
أَرْضٌ بَوارٌ
حَطَّ في أَمْدائِها

شَعْبٌ بَوارُ.

***

وَطَنٌ فَراغٌ
يَشْتَريهِ القِرْشُ سَهْلًا،
وَالكَرامَةُ أَحْذِيَهْ –
فَلْيَطْمَئِنَّ الموْتُ:
حينَ يَمَسُّهُ لَنْ يُؤْذِيَهْ.

***



(قلب جهنّم)

نارٌ تَفورُ عَلى القلوبِ
كَأَنَّ أَرْوِقَةَ الجَحيمْ
تَكْتَظُّ بِالجُثَثِ الَّتي سَقَطَتْ
وَحَنَّطَها الغَباءُ –
جُثَثٌ تُحَرِّكُها الطَّوائِفُ
كالدُّمى عَمْياءَ،
تَبْصُقُها السَّماءُ
وَيَمُجُّها الزَّمَنُ العَقيمْ.

***

وَطَنٌ بِلا وَجْهٍ وَلا لَوْنٍ
يُحَرِّكُهُ العَبَثْ
وَيَقومُ مِنْهُ إِلَيْهِ مَفْجوعًا،
تُصَدِّعُهُ الجُثَثْ،
لا شَيْءَ فيهِ سِواهُ
غَيْرَ ضَياعِهِ المكْرورِ
عامًا بَعْدَ عامٍ في الرَّزايا.
وَطَنٌ بِلا وَجْهٍ
تُقَسِّمُهُ وَتَجْمَعُهُ المنايا.
أَرْضُ الضَّياعِ هُنا

وَأَقْبِيَةُ الكَفَنْ:
زُمَرٌ منَ ٱلبَشَرِ التي ٱنْطَمَسَتْ كَرامَتُها
وَحَرَّكَها وَثَنْ
تَجْثو أمامِ ظِلالِهِ،
وَظِلالُهُ مَوْتٌ زُؤامُ —
بَشَرٌ يُحَرِّكُها الوَثَنْ
وَتُقيمُ قُدّاسًا مِنَ الزُّلْفى
بِأَلْوانٍ تُوَزِّعُها طَوائِفُها
لِتَغْرَقَ في العَطَنْ،
وَتُحيطُها نارٌ
تَدُكُّ جَماجِمَ الأَحْياءِ في قُدّاسِهِمْ.

وَجَعٌ طَويلٌ
مَدَّهُ شَيْطانُهُمْ دَرَجًا
إِلى عُمْقِ الجَحيمِ
لِيُقيمَ عُرْسَ الموْتِ
في بَطَرٍ عَقيمٍ:
زُمَرٌ مِنَ اللَّحْمِ المجَمَّعِ
فَوْقَ هَيْكَلِهِ
تَخالُ حشودَها شَعْبًا،
تُحَرِّكُ رَأْسَها المحْشُوَّ بِالحَطَبِ.
زُمَرٌ مُضَعْضَعَةٌ تَناهَشُ
في حقولِ الجوعِ وَالعَطَبِ...

زُمَرٌ... زُمَرْ...
زُمَرٌ يُراكِمُها القَدَرْ...
زُمَرٌ يُفَرِّقُها وَيَجْمَعُها البَطَرْ...
زُمَرٌ طَواها صَمْتُها،
وَتَدافَعَتْ كَالطَّمْيِ فَوْقَ العَرْشِ
تَرْقَعُهُ بِزُلْفاها،
وَتَزْحَفُ كَالصِّلالِ
فَلَيْسَ يَغْسُلُها مَطَرْ.

***

وَجَعٌ...
وَبُهْتانُ الذّنوبِ يَصوغُ مَلْحَمَةً
مِنَ الصَّمْتِ الرَّهيبْ.
وَجَعٌ...
وَآفاقُ الجَحيمِ مَذَلَّةٌ سَوْداءُ
يُحْرِقُها اللَهيبْ.
هَذا المدى المتَغَضِّنُ الأَطْرافِ
يَبْسُطُهُ الرِّياءُ
وَيَنْزَعُ التاريخَ مِنْ تاريخِهِ
لِيُقيمَ مَهْزَلَةً مِنَ الهَلَعِ الزَّنيمِ...
هَذا الفضاءُ المسْتَحيلُ مُوَشَّحٌ بِالكِذْبِ،

وَالبُهْتانُ يَزْرَعُ سُمَّهُ
تَحْتَ العروقِ مَنارَةً
لِتُطِلَّ مِنْهُ سِياسَةُ الأَلْوانِ
في الليلِ البَهيمِ.
زُمَرٌ تُراوِغُ في تَقِيَّتِها،
وَيَجْمَعُها الرِّياءُ عَلى مَزابِلَ
لَمْلَمَتْها مِنْ عُروشِ مُحيطِها،
وَعُروشُها وَهْمٌ تَبَعْثَرَ
في مَتاهاتِ الجَحيمِ.
زُمَرٌ مُضَعْضَعَةٌ كَأَسْرابِ الضِّباعِ
تَروغُ ما بَيْنَ الجُثَثْ

وَتَعودُ مِنْ رَوَغانِها صَمّاءَ،
يَجْمَعُها العَبَثْ.
زُمَرٌ تُراوِغُ،
في نَتانَتِها ذُبابُ الغَدْرِ،
تَصْطادُ الضَّميرَ إِذا ٱنْبَعَثْ.

***

بابُ الجَحيمِ مُشَرَّعٌ،
وَالدّودُ يَنْخُرُ أُمَّةً فَقَدَتْ كَرامَتَها
وَضَيَّعَها الزَّمانُ،

وَجَهَنَّمُ بَلَعَتْ حُطامَ الناسِ
فِي أَرْجائِها،
فَتَكَوَّموا فيها... وَناموا.



(مخرج جهنّم)

قُلْتُ:

"ٱلحِذاءُ عَلى رُؤوسِكُمُ يُزَيِّنُها

وَقَدْ كانَتْ خَواءْ!"

طَلَبوا ٱعْتِذاري،

فاعْتَذَرْتُ...

مِنَ الحِذاءْ.

(٢٠ – ٢٩ نيسان ٢٠٢٣)



عايَنْتُ أَرْوِقَةَ الجَحيمِ
تَفورُ فيها النارُ
مِثْلَ العَنْكَبوتْ،
فَرَأَيْتُ أَضْرِحَةً مِنَ الزُّلْفى
تَوَزَّعَتِ البُيوتْ،
وَرَأَيْتُ ناسًا
لا تَعيشُ وَلا تَموتْ.